مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المسرح المغربي والنقد الأكاديمي

The Moroccan Theater and academic Criticism

الجراري يونس Jerari Younes

دكتور في الدراسات العربية- تخصص: النقد الأدبي الحديث وتحليل الخطاب

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس.

Université Sidi Mohamed Ben Abdellah - Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Sais - Fès

Younes.jerari@gmail.com

0009-0002-0216-284X

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص

قمت في هذه الدراسة بمقاربة المسرح المغربي؛ انطلاقا من الحديث عن مراحله وإرهاصاته وبدايات تشكُّله، مرورا بالوقوف عند ما تعرَّض له من تأثير مشرقي من جهة، وتأثير أوروبي من جهة أخرى، وذلك تأتَّى من خلال الإشارة إلى دور كل من الترجمة والاقتباس في التعرُّف على هذا الفن العريق.

كما تناولت بعض المسرحيين المغاربة ("أحمد الطيب العلج"، و"الطيب الصديقي"، و"عبد الكريم برشيد")، باعتبار محاولتهم التأصيل للمسرح المغربي عبر البحث عن فرادته وتميزه. وخصَّصت مبحثا للنقد المسرحي الأكاديمي الذي يعمل على تحليل ودراسة الأعمال المسرحية استنادا إلى تصورات نظرية ومفاهيم وآليات مستقدَمة من مختلِف العلوم والمناهج.

استنتجت بعْد هذا، أن المسرح المغربي متأثِّرٌ بالشروط التاريخية والاجتماعية إلى أقصى الحدود، وهذا ما اتضح جليا من طبيعة المواضيع التي كانت مهيمنة إبان الحماية الفرنسية، والمتمثِّلة في التطلُّع إلى التحرر والاستقلال، والأمر نفسه لاحظته حين تقلُّص الاقتباس باعتباره مرحلة بدئية وإحلال التأليف محلَّه بفعل التراكم الكمي والنوعي الذي تحقَّق لهذا المسرح.

وخلصت في الأخير إلى ضرورة الاعتناء بهذا الفن، عبْر بناء المعاهد والمسارح، ومن خلال تأسيس حركة للترجمة متصاعِدة يُنجزها متخصِّصون في العمل المسرحي، بالإضافة إلى إعطاء المبدع المسرحي سواء كان ممثِّلا، أو مخرجا، أو كاتبا، هامشا وافرا من الحرية، علاوة على ضرورة مسرحة الشوارع والمدارس والجامعات بواسطة المهرجانات والندوات... إذ إن المسرح ثقافةٌ قبل كل شيء.

الكلمات المفتاحية: المسرح المغربي– النقد الأكاديمي– التأصيل– الاقتباس– ما قبل المسرح.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ISSN: 2958-8537 Issue: N21 العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

Abstract

beginnings of formation, to examining the influences it has received, both from the East and from Europe. This is achieved by indicating the role of translation and adaptation in understanding this ancient art form.

I also discussed some Moroccan playwrights (Ahmed Taïeb El Alj, Taïeb Saddiki, and Abdelkrim Berrached), considering their efforts to authenticate Moroccan theater by seeking its uniqueness and distinction. A section was dedicated to academic theatrical criticism, which analyzes, and studies theatrical works based on theoretical concepts and mechanisms drawn from various sciences and methodologies.

I concluded that Moroccan theater is profoundly influenced by historical and social conditions, as evidenced by the dominant themes during the French protectorate era, which revolved around aspirations for liberation and independence. Similarly, I observed a decrease in adaptation as an initial stage, being replaced by original works due to the quantitative and qualitative accumulation achieved by this theater.

Finally, I emphasized the necessity of nurturing this art form by establishing institutes and theaters, and by initiating a growing translation movement led by theater specialists. Additionally, it is crucial to grant theater creators, whether actors, directors, or writers, ample freedom, and to promote street theater, schools, and universities through festivals and seminars, as theater is primarily a culture.

Keywords: Moroccan theater, academic criticism, authentication, adaptation, pre-theater.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المقدمة

عرف العرب أشكالا من الاحتفال والفرجة عبر تاريخهم المديد، وأنواعا من الرواية والحكي يختلط فيها النص بالتصوير والعرض، غير أن هذه الممارسات لم تستقل بتصور نظري وتنضبط له على المستوى الإجرائي.

معنى هذا أن المسرح فن غربي أسَّسه مسرحيون إغريق كبار (إسخيلوس– يوربيديس– سوفوكليس...)، وتطوَّر من بعد في أوروبا باعتبارها الوريث الشرعي للإرث اليوناني القديم، مرورا بإبداعات خالدة لكل من شكسبير، وموليير، وراسين... علما أن هؤلاء تجاوزوا الشكل الكلاسيكي الإيطالي وقيوده.

واكبت هذه الحركة المسرحية طيلة مراحلها حركة تنظيرية ونقدية، خاصة، في العصر الحديث الذي أُبدعت فيه مجموعة من الاتجاهات والتيارات، وتمت فيه تغيرات جذرية بخصوص المفاهيم المصاحبة للعمل المسرحي.

أما الأشكال الفرجوية والاحتفالية التي عرفها العرب عامة والمغاربة خاصة، قديما، في الأسواق، وعند الأبواب ومضارب الخيام، فإنها لا تُشكِّل بنية مسرحية بمقوِّمات المسرح الحديث، بقدر ما هي أشكال ما قبل مسرحية، لها دور كبير في التمهيد لعملية مسرحية بكل مقوِّماتها.

إنني في هذه الدراسة بصدد مقاربة المسرح المغربي، انطلاقا من الحديث عن مراحله وإرهاصاته وبدايات تشكُّله، مرورا بالوقوف عند ما تعرَّض له من تأثير مشرقي من جهة، وتأثير أوروبي من جهة أخرى، وذلك تأتَّى من خلال الإشارة إلى دور كل من الترجمة والاقتباس في التعرُّف على هذا الفن العريق.

كما سأتناول بعض المسرحيين المغاربة ("أحمد الطيب العلج"، و"الطيب الصديقي"، و"عبد الكريم برشيد")، باعتبار محاولتهم التأصيل للمسرح المغربي عبر البحث عن فرادته وتميزه. وسأختم بمبحث للنقد المسرحي الأكاديمي الذي يعمل على تحليل ودراسة الأعمال المسرحية استنادا إلى تصورات نظرية ومفاهيم وآليات مستقدَمة من مختلِف العلوم والمناهج.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أهداف البحث

تتمثل أهداف هذه الدراسة في التعرف على مدى تأثر المسرح المغربي بالمسرح المشرقي، وبالمسرح الغربي، والتعرف كذلك على الأشكال السابقة على المسرح المغربي والتي تمثل أساسا قويا لهذا المسرح، وهذا ما تبيَّن أكثر من خلال الاحتفاء بالتراث وتوظيفه، باعتباره عاملا مهما في تحقيق الأصالة والتفرد، بالإضافة إلى الوقوف عند المهام التي نهض بها النقد المسرحي الأكاديمي، تقييما للمسرح المغربي وانفتاحا على التيارات والنظريات المسرحية العالمية.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في الإسهام الفعال في النقاش الدائر حول مختلف مجالات المسرح المغربي، بالإضافة إلى تقديم وصف وتحليل لهذا المسرح قصد تقريبه من القراء والباحثين، علاوة على تتبع مختلِف القضايا المرتبطة بالمسرح المغربي إبداعا ونقدا، من خلال الكشف عن مختلِف ملابساته وحيثياته التاريخية والمعرفية والجمالية التي فعلت فعلها فيه.

كما تتجلى أهمية هذه الدراسة في إفادة الباحثين في تطوير أبحاثهم، خاصة، تلك المتعلقة بالمسرح المغربي.

منهجية البحث

سيركِّز المنهج المتَّبع في هذه الدراسة، على محطتين اثنتين متداخلتين تتمثلان في الوصف والتحليل، تتركز الأولى في عرض ورصد الأشكال ما قبل مسرحية وتحديد دورها في الإسهام في التأصيل للمسرح المغربي، والثانية في تفكيك تصورات النقد الأكاديمي وتعيين الوظائف التي ينهض بها.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ISSN: 2958-8537 Issue: N21 العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إلى جانب ذلك، تم الاعتماد على المنهج التاريخي الكرونولوجي، قصد تتبع التطور الذي عرفه المسرح المغربي، بداية بالأشكال ما قبل مسرحية، مرورا بمرحلة الاقتباس من المشرق والترجمة من المغرب، ومن ثم التأصيل لهذا المسرح انطلاقا من جهود الصديقي والعلج وبرشيد، وصولا إلى حركة النقد المسرحي الأكاديمي.

إشكالية البحث

من الأسئلة التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليها، نجد؛ ما الأشكال ما قبل المسرحية التي عرفها المغاربة؟ ما الوظائف التي نهض بها المسرح إبان الاستعمار وبعيده؟ ما دور النقد الأكاديمي في مواكبة وتقويم المسرح المغربي؟

كانت هذه الأسئلة متأتية من اقتناعنا الراسخ بضرورة صياغة الأسئلة المعرفية المركَّبة من المشاكل المتصلة التي ترتبط عضويا فيما بينها، ولا تقبل الحلول الجزئية باعتبارها منظومة من العلاقات التي لا تمنح إمكانية حلها منفردة، فكما يرى باشلار حين يعتبر كل معرفة جوابا عن مسألة، فإذا لم يكن ثمة مسألة لا يمكن أن تكون هناك معرفة علمية، إذ لا شيء ينطلق بداهة، ولا شيء معطى كل شيء مبني[1].

الدراسة

1- مراحل تطور المسرح المغربي

سأعمل في هذا المبحث على التعريف بالمراحل التي مرَّ منها المسرح المغربي؛ بدءا بالأشكال ما قبل مسرحية، مرورا بالتأثر بالغرب والمشرق، وصولا إلى التأصيل المسرحي. علما أنني لن نقوم بمسح كلّي وشامل لمختلف هذه المراحل وحيثياتها، بقدر ما سأركِّز على تقديم صورة واضحة عن هذا الفن العريق في المغرب.

1-1- الأشكال ما قبل المسرحية

[1]- غاستون باشلار: "تكوين العقل العلمي - مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية"، تعريب: د. خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 6، 1421ه – 2001م، ص 14. بتصرف.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ISSN: 2958-8537 Issue: N21 العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

من الطبيعي والمنطقي ألَّا يستقيم الشيء على حاله منذ بداياته، وإنما يحتاج إلى الوقت ليتطوَّر حتى يأخذ شكله المثالي، والشيء نفسه ينسحب على المسرح المغربي، وفي هذا السياق نجد حسن المنيعي يحدِّد الممارسات ما قبل مسرحية، ويعتبرها وما يتصل بها من احتفال ومراسيم بدايةً للمسرح المغربي، حيث يقول: "يمكن الحديث عن بداية المسرح المغربي انطلاقا من المراسيم الاحتفائية الجماعية لدى البرابرة، مرورا بفنون سرد أو رواية الأساطير والسير ثم فنون التهريج واللعب التلقائي (الحلقة)، وصولا إلى الاهتمام بالمقدَّس الذي يتجلى في ممارسة بعض الشعائر ذات الطابع الديني (سيدي الكتفي– ظواهر الصرع عند حمادشة وكناوة– مسرح الندبة أو النواح في ضريح الهادي ين عيسى– مراسيم تغنجة– موكب الشموع بسلا... ألعاب وأغاني الأطفال في رمضان والأعياد الدينية"[2].

في حين يعتبر عباس الجراري أن "الحلقة في طليعة هذه الفنون يُديرها أمام جمهور متحلِّق في شكل دائري ممثِّلون فرديون، يروُون المقامات، ويقصون الحكايات الخرافية، والسير الشعبية وقصص البطولة والأنبياء، وينشدون قصائد الملحون، والمحاورات منها خاصة، مازجين في ذلك بين السرد القصصي والإنشاد الشعري والأداء الغنائي، ومعتمدين على التشخيص بجميع ما يقتضيه من عناصر التمثيل"[3].

يتبيَّن جليا أن المغاربة عرفوا أشكالا تقترب من المسرح إلى حد يصعب التمييز بينه وبينها، خاصة ما يُطلق عليه "الحلقة" باعتبارها مظهرا مترسِّخا ومتجذِّرا في تاريخ المغاربة وممارساتهم الثقافية والإبداعية، غير أن "الحلقة كتعبير درامي فطري والمسرح كتعبير درامي عصري يمثلان بنيتين متغايرتين"[4].

أما فيما يرتبط بما هو ديني، فالحال نفسها نجدها عند باقي الأمم الأخرى، ونخص الإغريقية التي ارتبط مسرحها بطقوس الاحتفال بأعياد "ديونيزوس"، كما انحدر قبله المسرح المصري من الطقوس الجنائزية. وهذا ما انعكس بشكل متفاوت عند المغاربة، وخصوصا في ممارسة الشعائر الدينية من قبيل سيدي الكتفي، ومراسيم الندبة والنواح المرتبطة بالأضرحة والزوايا، بالإضافة إلى قص معجزات الرسول (ص)، وسير الصحابة والتابعين، واحتفالات عاشوراء.

[2]- حسن المنيعي: "المسرح المغربي (من التأسيس إلى صناعة الفرجة)"، منشورات كلية الآداب، فاس، ط 1، 1451ه- 1994م، ص 6.
[3]- عباس الجراري: "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه"، الجزء 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ط 3، 1986، ص 265.
[4]- حسن بحراوي: "المسرح المغربي بحث في الأصول السوسيوثقافية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1994.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كما ارتبطت الأشكال ما قبل المسرحية بما هو دنيوي من قبيل المهاترة والسخرية التي كانت تقدَّم في الأسواق والأبواب العتيقة... ويعتبر "البساط" (عهد الملك سيدي محمد بن عبد الله 1757- 1790)، بالإضافة إلى سلطان الطلبة (إبان حكم المولى رشيد 1666- 1676)، من الأسس الأساس التي تراكمت حتى كانت مؤثِّرة في بلورة مسرح مغربي أصيل يحتفي بالموروث الشعبي وينقله إلى الجمهور عبْر حلقات ودوائر واحتفالات.

إن ما قلناه بخصوص المغاربة هو نفسه تقريبا يقال عن العرب الذين لم يعرفوا مسرحا قائم الذات كما عرفه الإغريق القدامى، وهذا ما يؤكده عباس الجراري في قوله: "لكن رجوع العرب المحدود إلى هذه الأنماط التراثية، لم يكن من شأنه أن يلفت النظر إلى ما عندهم من تجربة مسرحية حتى يرجعوا إلى رصيدهم الغني فيها ويحتفلوا بما فيه ويبعثوه ويطوِّروه، ومن ثم استعاروا الدراما الغربية وتبنوا أحكام المستعربين الذين قطعوا بقصور العرب عن إنشاء التمثيل"[5].

يُستفاد أن في تراثنا العربي عامة والمغربي خاصة، ظواهر وممارسات يمكن اعتبارها عاملا أساسيا في ظهور المسرح بشكله البنيوي الحديث، إذ إن "مفهوم "الما قبل/ مسرح" وكأنه مصطلح يصف حالة قريبة من "المسرح" ولكنه يختلف عنه. لأن المسرح يتميز بوعيه، ونظامه، ولا نهاية حدوده. بينما يتميز الما قبل/ مسرح بالتلقائية ومعايشة الحدث من الداخل: الشيء الذي يجعل منه – تاريخيا – أصل المسرح، ولكنه لا يندرج فيه بالضرورة"[6].

1- 2- علاقة المسرح المغربي بالمسرح المشرقي والأوروبي

تجدر الإشارة إلى أن الثقافة المغربية متأثِّرة عبر تاريخها بما يقع في المشرق، خاصة في مصر، حيث هناك ترابط على المستوى الإبداعي وعلى المستوى النقدي، فما يظهر في المشرق ينتقل ويكون له وقْع في المغرب، وهذا راجع إلى عدة اعتبارات، منها التاريخي والديني والقومي، وغيرها.

[5]- عباس الجراري: "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه"، ص 269
[6]- حسن المنيعي: "حركية الفرجة في المسرح (الواقع والتطلعات)"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2014، ص 87.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إن المسرح الذي عُرف في المشرق قد انعكس بشكل أو بآخر بالمغرب؛ وهذا ما تؤكِّده زيارة الفرق المسرحية المشرقية ("سلامة حجازي"، و"جورج أبيض"، و"يوسف وهبي"، و"فاطمة رشدي"...) التي سجَّلت تجاوبا كبيرا من قِبل الجمهور المغربي، باعتبار المواقف التي تمَّ التعبير عنها في هذه المسرحيات والتي كانت ذات حمولات قومية، بالإضافة إلى التشارك في مجموعة من الطموحات والآفاق، خاصة، تلك الطامحة إلى التحرر من قبضة الاستعمار الفرنسي والإنجليزي، وهذا ما أدَّى بالمسرحيين المغاربة عامة والرواد منهم خاصة، إلى اقتباس بعض الأعمال المشرقية وتجسيدها على خشبات مسارح المدن المغربية. وهذا ما يوضِّح كذلك، مدى تعلق المغاربة بإنتاجات المشارقة في الأدب عامة، وفي المسرح خاصة، حتَّى "صار الأدباء المغاربة يقلِّدون كتاب مصر المشهورين ويحيطونهم بهالة من التقديس والإعجاب"[7].

تقاسمت كل هذه الأعمال الاحتفاء بالتراث العربي، والحنين إلى الماضي الغابر، ولعل ما اتفق عليه النقاد من أن مسرحية "صلاح الدين الأيوبي"، أوَّل مسرحية قدِّمت بالمعنى المسرحي العلمي بالمغرب، وقد عرضتها جمعية قدماء ثانوية مولاي إدريس بفاس سنة 1927، لخير دليل على مدى تأثر المغاربة بالمسرح المشرقي، وهذا ما يؤكده قول الكغاط: "لا شك أن المسرح المصري الذي يعتبر خلاصة ما تمخَّضت عنه التجربة المسرحية العربية والغربية في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن، قد أثَّر في مسار المسرح المغربي فترة طويلة لم تنته إلا باستقلال المغرب"[8].

أما فيما يتعلق بالتأثر بالشكل الأوروبي من قبل العرب عامة، والمغاربة خاصة، فهو أمر لا جدال فيه، وهذا ما يُصرِّح به عباس الجراري، في قوله: "يُجمِع الدارسون – أو يكادون – على أن المسرح فن أوربي، وأن العرب لم يعرفوه إلا في عهد النهضة الحديثة، بعد أُتيح لهم أن يحتكوا بالغرب ويتأثروا بحضارته وثقافته"[9].

[7]- محمد الكغاط: "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، 1986، ص 79.
[8]- محمد الكغاط: "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات"، ص 284.
[9]- عباس الجراري: "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه"، ص 237.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هذا الاحتكاك الذي أشار إليه الناقد، قد حصل على مجموعة من المستويات، منها احتكاك مباشر راجع بالأساس إلى الاستعمار الفرنسي والإنجليزي لمعظم البلدان العربية، ومنها البعثات العلمية والأدبية التي أتمَّت دراستها في الجامعات الفرنسية أو الإنجليزية.

إن أكثر ما تمَّ الانجذاب إليه في البدايات هو المسرح الفرنسي عامة، ومسرح "موليير" خاصة، حتى قيل إن لكل بلد عربي مولييره الخاص، فالرائد "مارون النقاش" هو موليير العرب عامة، و"أبو خليل القباني" موليير سوريا، و"يعقوب صنوع" موليير مصر، و"أحمد الطيب العلج" موليير المغرب.

وعن أسباب هذا التأثُّر بمسرح موليير، نجد محمد الكغاط يقول إن "مسرح موليير عندما يتمُّ اقتباسه بالطريقة العربية يُصبح أشدَّ الأشكال المسرحية الغربية اقترابا من أشكالنا التمثيلية القديمة، وفي هذا أيضا ما يبرِّر إقبال المقتبسين والمترجمين على مسرحياته أكثر من إقبالهم على غيرها"[10].

في المغرب مثلا، كان "المهدي المنيعي" هو المترجم الأول للمسرح الفرنسي، وانعكست الريادة المولييرية في عمله "طرتيف"، الذي ترجمه مع عبد السلام التويمي، في عمل مشترك، كما ترجم المسرحية "أحمد الطيب العلج" أيضا، دون نسيان أن مجموعة من المسرحيين المغاربة تعرَّفوا على هذا الفن انطلاقا من تدرُّبهم وتخرجهم على أيدي مدرِّبين فرنسيين.

إذن، من الواضح مدى تأثُّر المسرح المغربي في بداياته بالأعمال المسرحية الأوروبية، وكذا المشرقية، أخذا بالحسبان أن الترجمات التي تمَّت ترجمتها وقتذاك كان الغالب عليها الطابع الفردي، وعدم احتضان المؤسسات لهذه العملية التي تُغني العقلية المغربية بإبداعات وتنظيرات ينبغي تعديلها لتُناسب التراكم النفسي والاجتماعي للجمهور المغربي.

كما يُمكن إرجاع طغيان الاقتباس، وتعويضه للتأليف زمنا طويلا إلى عدة أسباب، من قبيل؛ غياب متطلبات الخلق الفني، وأزمة الثقافة المغربية (التطويع، الاقتباس، المغربة...)، وقلة عدد المؤلِّفين بالقياس إلى عدد الفرق

[10]- محمد الكغاط: "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات"، ص 54.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والمخرجين المسرحيين، كما أن الاقتباس ضروري ضرورة التنويع، التي يفرضها الجمهور من جهة، ورجالات المسرح من جهة أخرى.

1- 3- تأصيل المسرح المغربي

بعْد استنزاف أعمال "موليير" على نطاق واسع في البلاد العربية والمغربية، وبعْد التراكم الذي عرفه المسرح المغربي، بالإضافة إلى فطنة رجال المسرح المغاربة بضرورة إيجاد أشكال مسرحية تتناسب والذوق العام للجمهور، وتحتفي بتراثهم وتقاليدهم مبنى ومعنى، وتستفيد من الأساليب والتقنيات المستحدَثة في العمل المسرحي. بدأ البحث عن صيغ مسرحية مغربية تتسم بالأصالة والانتماء إلى وجدان المغاربة.

إن هذا الذي أومأنا إليه يضع في الاعتبار الدور الحاسم الذي تلعبه الظروف التاريخية في بلورة أشكال مسرحية معينة، حيث كانت، مثلا، مضامين النصوص المسرحية المغربية فترة الاستعمار لا تخرج عن دائرة المقاومة والرغبة في التحرر، وهذا ما يزكيه قول محمد الكغاط: "عند قراءة لعناوين المسرحيات المغربية التي كُتبت في عهد الحماية نلاحظ أنها تدور حول ثلاثة محاور رئيسية هي:

أ- المحور الاجتماعي

ب- المحور التاريخي

ج- المحور الديني"[11].

[11]- محمد الكغاط: "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات"، ص 304.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أما بعد استقلال الدول العربية من نيْر الاستعمار، فإن الأعمال المسرحية لم تعد "مجرد إدانة للغرب الكولونيالي فقط، بل انتقادا لاذعا للأوضاع الفاسدة (...) وللعلاقة المتوتّرة بين الشعب والسلطة الحاكمة. من هنا صارت "السياسة"[12] سمة المسرح العربي منذ نهاية الستينيات"[13].

بشكل من الأشكال لم يكن المسرح العربي عامة، والمغربي خاصة، في بداياته يهتم بالمسرح لذاته من حيث الكتابة والإخراج والتمثيل ومختلف التقنيات بقدر ما كان يوجه خطابا يطمح للتحرر والانعتاق واسترجاع الأراضي المغتصبة.

إن مرحلة ما قبل الاستقلال، مرحلة اتسمت بتقليد المسرح المشرقي، غير أن مرحلة الاستقلال عرفت شكلا من الحسم مع النصوص المشرقية؛ حيث بدأت تتم عملية تأصيلٍ للمسرح المغربي، عبر تقليص هامش الاقتباس من المشارقة وإحلال التأليف محله، وهذا ما نلاحظه في أعمال كل من "أحمد الطيب العلج"، و"عبد الكريم برشيد"، و"الطيب الصديقي".

- أحمد الطيب العلج

بالإضافة إلى اعتبار أحمد الطيب العلج مترجما فذا لأعمال موليير في مرحلة معينة، فهو يُعدُّ كذلك باحثا في التراث العربي عامة والمغربي خاصة، وهذا ما دفع محمد الكغاط إلى القول: "إن العلج يقتبس من تراث الشعب وأعماقه، ولذلك عدّ ذاكرة محلية خالصة"[14].

يمكن إجمال مميزات العمل المسرحي عند العلج فيما يلي:

[12]- إن موضوعة "السياسة"، في المسرح العربي، كانت سببا مباشرا للاغتراف من الميثولوجيا عامة، والإغريقية خاصة، وهذا ما يصرح به يونس لوليدي، قائلا: "إن الكتاب المسرحيين العرب قد عاشوا، ولازالوا يعيشون، في واقع عربي متخلف ومقهور، تسعى فيه الشعوب العربية إلى تحقيق الحرية والعدالة بعبدا عن القمع، والإحباط، وخيبة الأمل. وفي كثير من الأحيان لا يملك الكاتب المسرحي العربي إلا الهروب إلى عوالم الميثولوجيا الإغريقية للتعبير عن آرائه دون التعرض لملاحقة السلطة السياسية، أو الدينية، الخ...". ورد القول في: يونس لوليدي: "المسرح والأسطورة"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2014، صص 76- 77.

[13]- حسن المنيعي: "حركية الفرجة في المسرح (الواقع والتطلعات)"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2014، ص 17.

[14]- محمد الكغاط: "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات"، ص 288.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- استلهام التراث من أجل خلق نص مسرحي متميّز.

- تقريب التراث من الإنسان المعاصر وقضاياه.

- كتابة المآسي الضاحكة.

- البحث عن لغة "دارجة" تتطلع إلى تعويض العربية الفصحى.

- عدم الفصل بين النص والعرض في سياق صياغته للقالب المسرحي المغربي.

- الرجوع إلى المسرح المغربي الفطري مع التركيز على الحلقة والبساط.

- الطيب الصديقي

من بين رموز المسرح المغربي الذين أسهموا تأليفا وإخراجا وتمثيلا، وكذا تكوينا لأفواج من المسرحيين المغاربة، نجد الطيب الصديقي، الذي يقول بخصوصه محمد الكغاط: "إنه يُعتبر أول من فتح أعيننا على فرجات متنوّعة ودفعنا إلى مسايرة تجاربه التي تستفيد من تقنيات الغرب وأشكاله الدرامية، وتوظيف عناصر التراث في نفس الوقت كالحلقة والبساط وغيرهما"[15].

يمكن تلخيص مميزات الخطاب المسرحي عند الصديقي فيما يلي:

- استلهام التراث مع التركيز على الحلقة والملحون والأغاني الشعبية وكتب الأدب القديمة.

- تسخير التقنية الغربية لخدمة التراث.

- الثورة على البنية المسرحية الإيطالية.

[15]- محمد الكغاط: "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات"، ص 292.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

– المزاوجة بين التطبيق والتنظير.

– التحام الشكل بالمضمون، والنص بالعرض.

-- عبد الكريم برشيد

من هذه النماذج التي حاولت الإسهام في البحث عن استقلالية المسرح المغربي نجد عبد الكريم برشيد المعروف ببياناته بخصوص الفن أو المسرح الاحتفالي، ومن أهم ما يتميز به مشروعه المسرحي:

– رفضه "العرض" والمفاهيم المصاحبة له، لأنه ذو علاقة بالطبقة البورجوازية وبالنظام الرأسمالي المستغِل، والذي يفكر في الربح ولا شيء غير الربح.

– تركيزه على الاحتفال البسيط والتفاعل إلى أكبر حدٍّ مع الجمهور.

– عدم إعطاء الأولوية للتقنيات الغربية على حساب النص.

نخلص إلى أن مرحلة التأصيل للخطاب المسرحي المغربي عرفت طفرة نوعية من حيث المضامين من جهة، ومن حيث القطيعة النسبية مع اقتباس نصوص المشارقة، وهذا ما تجلَّى في بث الروح في مضامين مستقاة من الإرث المغربي الضخم، عبر الاحتفاء بكل ما هو مغربي، بالإضافة إلى بروز تيارات مسرحية بفعل التراكم الكمي والنوعي الذي عرفه هذا المسرح من حيث الإبداع وكذا من حيث النقد.

2- النقد المسرحي الأكاديمي بالمغرب

لقد اهتم النقد المسرحي الأكاديمي المغربي بالمصطلح المسرحي، فاعتمد جهازا اصطلاحيا يقوم على إيضاح التصورات المسرحية، كما ارتكز على تنوع في المرجعيات من قبيل؛ علم المسرح، والسيميولوجيا، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والتحليل النفسي، والفلسفة والشعريات الحديثة، وغيرها.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

من هنا، كان النقد الأكاديمي للمسرح أحد الثوابت والمرتكزات الأساس في صياغة المفاهيم والمصطلحات المصاحِبة للعمل المسرحي، من جهة، وكذا في نقد وتقييم الإبداع والنصوص المسرحية من جهة ثانية. وفي هذا السياق يقول حسن المنيعي: "إن إسهام الجامعيين كان وما يزال "سندا" للمسرح المغربي سواء على مستوى البحث والتجريب أو على مستوى المشاركة الفعلية، التي تنعكس نتائجها الإيجابية في مهرجانات المسرح الجامعي. إضافة إلى ذلك، فإن ما يُنتجه الجامعيون من دراسات قد تكون إفادة هامة حول مواضيع فنية وثقافية ربما تغافل عنها بعض العاملين الحقيقيين في ميدان المسرح"[16].

يتميَّز النقد المسرحي الأكاديمي بالموضوعية في النقد والتحليل في سياق إطلاق الأحكام الجمالية، بعيدا عما هو شخصي، إذ إن الثقافة الموسوعية التي يتمتَّع بها هؤلاء النقاد تشكل سبيلا ناجعا لمقاربة الخطاب المسرحي، عبر الوقوف عند مراحل تطروه، وصولا إلى إنشاد تيارات ومدارس تنتصر لفهمها وأفق تنظيراتها. وهذا ما ألفيناه عند "حسن المنيعي"، ومحمد الكغاط، و"مصطفى رمضاني"، و"أحمد بالخير"، و"يونس لوليدي"، و"خالد أمين"، و"حسن يوسفي"... وغيرهم.

وطلبا للتدقيق أكثر، فإننا استبعدنا مهمة دراسة هؤلاء النقاد جميعهم لأنه أمر بعيد المنال، لذا ارتأينا أن نخصِّص هذا المبحث لباحثين فذين هما: الدكتور حسن المنيعي، والدكتور محمد الكغاط، قصد الوقوف عند أهم آلياتهم ومفاهيمهم النقدية من جهة، وعند ما قدَّموه من مواكبة وتقييم للمسرح المغربي من جهة ثانية.

2- 1- عند حسن المنيعي

يُعتبر حسن المنيعي رمزا من رموز الثقافة المغربية المعاصرة، وذلك لاطلاعه وتمرُّسه في شتى ضروب المعرفة ومختلِف العلوم الإنسانية، فهو مترجم متمكِّن، ومؤسِّس للدرس المسرحي برحاب الجامعة المغربية باعتباره أستاذا للأجيال[17].

[16]- حسن المنيعي: "ويبقى الإبداع- دراسات عن المسرح والأدب في المغرب"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2008، ص 66.
[17]- خالد أمين: "المسرح العربي بين الدراماتورجيا الركحية وأسئلة (ما بعد الدراما)"، ضمن كتاب "مسرح ما بعد الدراما"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، مارس 2012، ص 119.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هناك من يعتبر الدكتور حسن المنيعي مجرد باحث متخصِّص فيما هو مسرحي، وهذا الرأي مُجانِب للصواب، فهو ناقد روائي فذ، ومبحِر في ميادين المعرفة والثقافة، بالإضافة إلى كونه ناقدا مسرحيا يمثل نموذجا للنقد الرصين المتشبِّع بالمفاهيم والمنطلقات النظرية، والمستفيد من التجارب المسرحية العالمية والعربية والمغربية... ولهذا لا يجب "النظر إلى الدكتور حسن المنيعي على أنه ناقد مسرحي فقط، وضمن تصور فيه الكثير من الاختزال الذي لا يتوافق أبدا مع ما يتميَّز به الرجل من اتساع في الأفق يتناقض مع كل أنواع ضيق الرؤية، أو انغلاق التصور"[18].

وممَّا يؤكد هذا الملمح الموسوعي الذي يتصف به حسن المنيعي هو كون الرؤية النقدية لديه لم تكن "معزولة عن الرؤية الثقافية، بحيث لا يوجد لديه، مفهوم الناقد غير المستحضر للثقافة بما هي مؤطِّر لكل نشاط إبداعي، وبما هي مرجع وحاضن لكل إنجاز، ومن ثم لكل تناول نقدي له"[19]. وهذا ما يظهر بجلاء في كتاباته المتنوِّعة التي قاربت المسرح العربي عامة، والمسرح المغربي خاصة، بالإضافة إلى نقده للرواية، علاوة على حديثه المستفيض عن الفنون التشكيلية... وغيرها.

وتأكيدا لهذا الميسم المتمثِّل في الموسوعية، فإن أعمال حسن المنيعي دائما ما كانت منشغِلة بكل الممارسات والاتجاهات المسرحية، سواء أكانت مغربية أم عربية أم غربية، ومن ذلك التعريف بالتيارات المسرحية العالمية، ومثال ذلك قوله: "أهم تحديث عرفه المسرح هو الذي سيرتبط بأعلامه من المخرجين، والمنظِّرين والكتاب، وعلى رأسهم الفرنسي أنطونان أرطو A. Artaud، والألماني برتولد برشت B. Brecht"[20].

قارب المنيعي الظاهرة المسرحية بكل موضوعية من جهة، وشمولية من جهة أخرى، فتحدَّث بإسهاب عن الأشكال الما قبل مسرحية، وناقش المرحلتين التأصيلية والتجريبية في المسرح العربي والمغربي، وأفاض في تبيان موقف الاستعمار من المسرح المغربي عبر اضطهاد العاملين في هذا المجال[21].

---

[18]- مجموعة من المؤلفين: "حسن المنيعي ومسارات النقد المغربي والعربي"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، مارس 2011، ص 13.

[19]- مجموعة من المؤلفين: "حسن المنيعي ومسارات النقد المغربي والعربي"، ص 15.

[20]- حسن المنيعي: "مقاربات مسرحية (قراءة في المسرح الغربي الجديد... ومسرح الهجرة"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2019، صص 19- 20. ولمزيد من التوضيح فيما يتعلق بالتيارات المسرحية الغربية عامة، والمسرح الملحمي مع بريشت، ومسرح القسوة مع أرطو، خاصة، يرجى العودة إلى الصفحتين وما يليهما من الكتاب نفسه.

[21]- حسن المنيعي: المسرح المغربي (من التأسيس إلى صناعة الفرجة)"، ص 8، بتصرف.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كما يعدُّ الناقد المنيعي مؤسِّسا حقيقيا لحقل دراسات الفرجة بالمغرب، وهذا ما يتَّضح من خلال اهتمامه بالثقافة الشعبية باعتبارها مُستودَعا ضخما من الخبرة والاجتهادات الإبداعية التي أسهمت ولازالت تُسهم في إثراء عقل ووجدان وسلوك الناس جميعا.

فيما يتعلق بالمناهج النقدية، فقد ناقش المنيعي علاقة السيميولوجيا بالمسرح، وحدَّد أنساق التواصل المسرحي في: تواصل الشخصية والمتفرِّج، تواصل الشخصية والشخصية، وتواصل الممثل والممثل، وتواصل المتفرج والمتفرج. واعتبر استنادا إلى أبحاث علمية تستند بالأساس إلى "رولان بارت"، إلى أن المسرح موضوع سيميولوجي متميز.

وهنا نشير إلى أن النظرية السيميائية، أو المنهجية السيميائية تولي دراسة المسرح أولوية واهتماما بالغين، وهذا ما يتبيَّن من قول فهد الكغاط: "لا شك أن الفنون والآداب تمثِّل مجالات غنية للبحث السيميولوجي، لكن المسرح، باعتباره يتسم «ببوليفونية إخبارية حقيقية» و «بكثافة من العلامات» يشكِّل أكثر من غيره «موضوعا سيميولوجيا متميِّزا[22] »، فهو يسمح باستقصاء عدد مهم من القضايا السيميولوجية الأساسية، ويتهيأ تماما للتحليل السيميولوجي سواء في جانبه النصي أو الفرجوي. إضافة إلى ذلك، فإن نصوص التأشير المسرحي – بما أنها وسائط ناقلة للعرض، ننطلق منها لمقاربته – تتميز بحمولة سيميولوجية/ سيميائية هامة"[23]، بل هناك فرع للسيميائيات يُكنَّى بسيميائيات المسرح[24].

إلى جانب اعتماده على المنهج السيميولوجي استنادا إلى كون المسرح علامات تتحاور وتتصارع في صيرورة دلالية لا منتهية، فإنه اعتمد كذلك على المنهج الدراماتورجي، والذي يتمُّ عبر دراسة النص المسرحي من حيث كتابته وشعريته، ومدى ارتباطه بالإخراج ومسار العرض. وهنا يجب التمييز بين "التحليل الدراماتورجي" أي الممارسة النقدية

---

[22]- فهد الكغاط: "تدوين الفرجة المسرحية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، د. ط، د. ت، ص 90، نقلا عن: Roland Barthes, Essais critique, Collection « Tel quel », Edition du Seuil, Paris, 1964, pp. 258- 259.

[23]- فهد الكغاط: "تدوين الفرجة المسرحية"، ص 90.

[24]- يرى باتريس بافيس أن "سيميولوجيا المسرح منهج يوظف لتحليل النص و/ أو العرض، ويهتم بالتنظيم الشكلي للنص أو الفرجة، وكذا بالتنظيم الداخلي للأنظمة الدالة التي يتألف منها النص والفرجة، كما يعني كذلك بدينامية سيرورة الدلالة، وبإنتاج المعنى عبر تدخل الممارسين المسرحيين والجمهور"، فهد الكغاط، "تدوين الفرجة المسرحية"، ص 90، نقلا عن: Patrice Pavis, Dictionnaire du theater, Termes et concepts de l'analysethéatrale, Editions sociales, Paris, 1980, p. 358.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المتعلِّقة بوصف وتقييم الآثار التي يتركها الفن المسرحي، وبين "النظرية الدراماتورجية" التي تُنتج الأدوات الضرورية لهذه الممارسة النقدية.

وكما أشرنا من قبْل، فإن حسن المنيعي هو من "عمل على إدخال المسرح إلى حلقة التناول النقدي الأكاديمي بعد تأخر عدة سنوات، بل خيَّم على الثقافة عقودا من الزمن. فقد كان المسرح عند النخبة المغربية، وعند ممارسيه امتدادا لانشغالات لا علاقة بتاريخ الخبرة الفنية والجمالية، ولا بتاريخ الثقافة العالمية، فظل يتيما من الناحية الفكرية، فقيرا في أسسه النظرية والفلسفية الجمالية، حتى قيَّض الله له باحثا مغامرا، في وسط ثقافي وفكري، لم يكن مسايرا، هو حسن المنيعي"[25].

إن المنيعي لم يقم بفصل الانشغالات المسرحية عن الواقع الاجتماعي ومختلِف الهموم الثقافية والجمالية، حيث كان يصرِّح أن المسرح العربي الجديد لا يُمكنه أن يحقِّق الإنجاز المتميِّز "إلا إذا عمل على استيعاب التناقضات الأساسية في الواقع العربي، والتأكيد على مبدأ الحرية وتحويل المسرح إلى أداة ثقافية جماهيرية تحقق التغيير المنشود، وتحرص على تصحيح فهم التيارات الدرامية الغربية، واتخاذ مواقف سياسية واضحة وهضم الأشكال الفنية التعبيرية التي عرفتها الثقافة العربية الإسلامية والعمل على تفجيرها و"أسلبتها" لبلورة تصورات ومرتكزات نظرية وتطبيقية ذات أبعاد جمالية وفكرية"[26].

تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن الدكتور حسن المنيعي لن تكفيَه هذه الصفحات، لأن إسهاماته أكبر بكثير مما تعرَّضنا له، فهو يبقى نموذجا للباحث الحصيف المتميِّز بمقارباته المتكاملة للعمل المسرحي، عبر نقاشه لمختلِف جوانب الخطاب المسرحي (الممثل، العرض، الجمهور، الخشبة، التلقي، النص...)، والانفتاح على مفاهيم نظرية ومصطلحات فلسفية من مختلف علوم الإنسان (التحليل النفسي، وعلم الاجتماع، والسيميولوجيا، والأنثروبولوجيا...)، كما أنه كوَّن وأطَّر أفواجا من النقاد والباحثين الذين صاروا مهتمين ومتخصصين في هذا الفن، إذ إنه "مِن الدكتور حسن المنيعي، لم نتعلَّم كيف نمارس النقد فقط، حين يكون النقد مهارات وأدوات إجرائية يتم تمثلها واختبارها، ولكننا

[25]- "حسن المنيعي ومسارات النقد المغربي العربي"، ص 37.
[26]- حسن المنيعي: "هنا المسرح العربي... هنا بعض تجلياته"، منشورات السفير، مكناس، 1990، صص 30- 31.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تعلمنا كيف نكون نقادا، وكيف نؤسِّس علاقتنا بالظاهرة المسرحية في امتداداتها الثقافية والأدبية، أي في علاقاتها بالأجناس الأخرى"[27].

المستفاد هو أن حسن المنيعي هو ذلك الناقد الأكاديمي المتميِّز من حيث تبنيه للمناهج العلمية واستثمارها في تحليل واستنطاق النصوص الأدبية عامة والمسرحية خاصة، وهذا راجع بالأساس إلى ثقافته الموسوعية، وتحليله الموضوعي، بالإضافة إلى اعتماده على دراسة وتمحيص الجزئيات وترابطها، وعدم الاكتفاء بالثوابت والقوانين العامة للنظرية المسرحية، كما له كل الفضل في إغناء مكتباتنا بعشرات من المؤلفات القيِّمة. وكل هذا، أضفى على مشروعه النقدي صفة التجدد والتطور، وجعل منه شخصا فريدا ومتميِّزا، فهو "رجل أبدع شخصيته الثقافية من تنوع مصادر الإبداع، لكي يصبح حسن المنيعي لا أحد غيره، ولا كما أن يتشابه مع غيره من أساتذة الجامعة ومن المثقفين والنقاد"[28].

2- 2- عند محمد الكغاط

إن الحديث عن النقد الأكاديمي المسرحي أملى علينا الحديث عن ناقد آخر هو "محمد الكغاط"، الذي ناقش المسرحية المغربية عبر سيرورتها وصيرورتها، وإمكاناتها وتجاربها... من خلال محاولته تقديم نقد موضوعي للخطاب المسرحي المغربي، خصوصا أنه مبدع كذلك (ممثل ومخرج).

إن هذه الازدواجية المتمثِّلة في كون الكغاط ناقد من جهة، وممثل ومخرج من جهة أخرى، أضفى على مقارباته نوعا من العلمية، وكذا شيئا من الفنية والجمالية، فهو "رجل فنان كرَّس حياته لخدمة الفن الدرامي سواء على مستوى الكتابة، أو على مستوى الممارسة الفعلية، التي جعلت منه مخرجا متميزا وممثلا مقتدرا"[29].

إن محمد الكغاط له من المعرفة والاطلاع ما يجعل منه دارسا يلامس العديد من مكوِّنات العمل المسرحي، حيث إنه يبدأ بعرض المادة المسرحية المغربية، ويقسِّمها من حيث الزمن (مرحلة الحماية، مرحلة الاستقلال...)، ويتحدَّث عن زيارات الفرق المشرقية للمغرب، وكذا عن بداية التأليف المسرحي. ويحلِّل هذه الأعمال المسرحية على

---

[27]- "حسن المنيعي ومسارات النقد المغربي العربي"، ص 37.
[28]- "حسن المنيعي ومسارات النقد المغربي العربي"، ص 25.
[29]- حسن المنيعي: "النقد المسرحي العربي (إطلالة على بدايته وتطوره)، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، أبريل 2011، ص 99.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مجموعة من المستويات (الشخصيات، والحوار، والبناء الدرامي والصراع...)، وغالبا ما يُنهي كل مستوى بتعليق أو تعقيب أو خلاصة لما قام بتحليله.

وفي هذا السياق، فإنه قد أمدَّنا بالعديد من المعطيات ذات العلاقة بالتراث، وتواشجاته بالمسرحية المغربية أيامها الأولى وبُعيد الاستقلال، ومدى احتفائها بالإرث العربي القديم عامة والأدب العباسي خاصة... كما وقف طويلا عند تأثر المغاربة (هواة ومحترفين) بالمسرح المشرقي. علاوة على تحدثه عن التيارات المسرحية العربية (توفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وألفرد فرح، وسعد الله ونوس، وقاسم محمد...)، وصولا إلى كلامه كذلك على تيارات مسرحية مغربية (أحمد الطيب العلج، والطيب الصديقي، وعبد الكريم برشيد...).

إن ممَّا يتميز به الكغاط هو أنه التحم في العروض المسرحية باعتباره ممارسا ومشاركا في تداريب، مما جعله يقوم بجولات مسرحية في المغرب، خاصة تلك التي يقول بخصوصها "جولة مسرحية تجنَّد لها كل من وما يتحرك في المركز، جولة آمنت باللامركزية بوحي من المسرح، مثَّلنا في أماكن نائية... قرى ومداشر أستطيع الآن أن أقسم أن المسرح لم يزرها منذ ذلك التاريخ"[30]. وقد بيَّن مستوى الانضباط الذي كان في ذلك الموقف، من خلال احترام الجميع للوقت، وتحملهم المسؤولية في التداريب وباقي الممارسات المتعلِّقة بالمسرح، عكس ما هو قائم الآن من ميوعة وعدم انضباط.

كما أنه اعتبر الهدفَ من المسرح يتلخَّص في التعبير عن المواقف والمبادئ والآراء تجاه المجتمع، وليس عبارة عن لغو وتصنع كما هو الحال الآن في واقع الابتذال الطاغي عليه نصا عرضا. فقد كان يدافع عن رقي وسمو هذا الفن، عبر تأكيده على ضرورة حب التمثيل من طرف المبدع – الممثل، وتمثيل الحب، لأنه إذا غاب صدق العاطفة والإحساس في الفن من لدُن الممثل والمتلقي في الوقت نفسه، تلاشي الفن وانحدر إلى موقع غير موقعه، وانعدم رغم وجوده.

[30]- محمد الكغاط: "الممثل وآلته"، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، ط 1، 2002، ص 64.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

واستزادة في توضيح هذا المستوى المتمثَّل في كون الكغاط كان ممارسا للفن المسرحي، نأخذ على سبيل الذكر أنه كانت له أدوار رئيسية في العديد من المسرحيات، من قبيل: "النواعير"، و"الحقارة"، وبغال الطاحونة"، و"ميت العصر"، و"أبو الهول الجديد"، و"أساطير معاصرة"، و"المقامة الفردية"، و"أنتجون تتذكر"، وغيرها كثير، بالإضافة إلى إخراجه للكثير من الأعمال المسرحية.

كما كان متمكِّنا من عملية الترجمة، وهذا ما تجلى في إغنائه لمخزوننا الثقافي بمجموعة من المسرحيات، ومن ذلك ترجمته لـ "النبي المقنع" لعبد الكبير الخطيبي، زد على ذلك إسهامه بمقالات قيمة ودراسات رصينة في ملء صفحات الجرائد والملاحق الثقافية المغربية، علاوة على أنه كتب مقدمات لبعض الكتب النقدية والإبداعية، وشارك في العديد من المهرجانات المسرحية الوطنية، وقام بتأطير العديد من الملتقيات والندوات والمناظرات المسرحية وطنيا وعربيا، كما له أعمال سينمائية وتلفزية وإذاعية.

ناقش كذلك مجموعة من المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة بالخطاب المسرحي من قبيل؛ "التسلطن" الذي يرى فيه اندماج الممثل بالممثل، والممثل بالجمهور، والجمهور بالجمهور... كما أكَّد على أن للتسلطن مقوِّمات ومؤهِّلات لا يبلغها كل المبدعين والممثلين، وتحدث كذلك على دور الإيقاع في العمل المسرحي، قائلا: "الإيقاع يجعلنا نحس أن أنفسنا تسير متساوية مع أنفاس مستمعينا ومشاهدينا، وأن دقات قلوبنا تسير بنفس السرعة وأننا نعيش نفس الانفعال ونتأثر به نفس المقدار"[31]، كما ألحَّ على ضرورة وجود مقطع غنائي من داخل العمل المسرحي يُلقيه الممثل ليكسِّر رتابة الحوارات المتعاقبة، واشترط في هذا المقطع أن يُستغل جيدا عبْر تعميق الإحساس والبحث عن صدق أكبر.

لاحظنا كذلك أن الكغاط كان يتحدث عن المسرح باعتباره ظاهرة اجتماعية، وهذا ما يؤكده كلامه عن مسرحة الحي، وحي المسرح في أفق مدينة المسرح التي تعد أساسا قويا في أعماله التنظيرية للمسرح المغربي. ولتعزيز هذا الكلام فإننا سنورد كلاما يتحسَّر فيه عن واقع البحث في المسرح، حيث يقول: "بحثنا فيه باعتبارنا أكاديميين منطلقين

[31]- محمد الكغاط: "الممثل وآلته"، ص 32.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

من أطروحة محدَّدة في الزمان والمكان، أو بصفتنا مدافعين عن وجهة نظر خاصة، كوجوده أو انعادمه في تراثنا، والقالب الذي ينبغي أن نصبه فيه، وما إلى ذلك، ولكننا لم تبحث عن المسرح كأناس مجتمعين ومدنيين يعشقون الحياة ويسعون إلى تزيين دنياها بكل ما هو جميل وإنساني ورائع"[32].

إن محمد الكغاط قيمة إضافية للنقد الأدبي عامة والمسرحي خاصة، أسهم بنقده الموضوعي في إغناء بنياننا الفكري والثقافي، بأعمال تتسم بالخبرة التي راكمها، والمعرفة المتنوعة التي يمتلكها، وقد حاولنا في هذه الدراسة ملامسة بعض من تصوراته النظرية للمسرح من جهة، ونقاشاته النقدية وإسهاماته الإبداعية من جهة أخرى. وكما قلنا عن حسن المنيعي، نقول عن الكغاط الذي يصعب أن نعطيه كل ما يستحق في هذا المقتضب، باعتبارهما رمزين للنقد الجامعي بما هو نقد محايد "يحرص على الانصهار في العمل الدرامي، وعلى أن يكون دعامته. بمعنى آخر، إنه كما يقول رولان بارت "نقد لا تنحصر وظيفته في التعرية والاكتشاف، وإنما في تغطية الإنتاج الفني". وربما لهذا السبب، اختار أن يكون نقدا يسترشد بعلوم ومناهج جديدة"[33].

الخلاصة والاستنتاجات

إن الحديث عن المسرح المغربي يستلزم كتابا بأكمله، إن لم نقل مجموعة كتب، ولكنني في دراستي هذه حاولت تقديم صورة شاملة عن إرثنا ما قبل المسرحي، وبعضا من إسهامات نقادنا، وخاصة الأكاديميين منهم (المنيعي-الكغاط). ومن خلاصات هذا البحث:

– إن المسرح المغربي متأثِّرٌ بالشروط التاريخية والاجتماعية إلى أقصى الحدود، وهذا ما اتضح جليا من طبيعة المواضيع التي كانت مهيمنة إبان الحماية الفرنسية، والمتمثِّلة في التطلُّع إلى التحرر والاستقلال، والأمر نفسه لاحظته حين تقلُّصِ الاقتباس باعتباره مرحلة بدئية وإحلال التأليف محلَّه بفعل التراكم الكمي والنوعي الذي تحقَّق لهذا المسرح.

[32]- محمد الكغاط: "الممثل وآلته"، ص 110.
[33]- حسن المنيعي: "ويبقى الإبداع- دراسات عن المسرح والأدب في المغرب"، ص 67.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21 ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

– النقد الجامعي ليس نقدا مدرسيا وانطباعيا، بل هو نقد منهجي يقوم على جدلية تحليل الشكل والمضمون، والنص والعرض، ويستثمر بعض مناهج النقد الحديث، ويستقي مفاهيم من السيميولوجيا والدراماتورجيا، ويتجاوز الأحكام الجاهزة عكس النقد الصحفي الذي يبدو بمثابة تعليق على العمل أو انحياز لصاحبه أو معاداة له.

– إن توظيف التراث العربي والتقنية الغربية في المسرح المغربي هو نموذج لتحقيق أصالته ومعاصرته، فلا هو قام بطي صفحة الماضي، ولا هو ارتمى في أحضان الغرب... وهذا ما يمنحه تفردا وتميزا من حيث علاقته بوجدان الجمهور وتاريخهم، ومن حيث الانفتاح على العالم المعاصر واستثمار ما استجد فيه من تكنولوجيا وتقنيات.

– يبقى المسرح ظاهرة لا علاقة لها بسن الأشخاص ولا بأعراقهم... فلم يثبت أن أمة أو حضارة لم تعرف أشكالا من الفرجة أو التمسرح... ولهذا، فإن الأحياء تحتاج إلى التمسرح، وتحتاج الأحياء إلى مسارح، والمدينة تحتاج إلى التمسرح... بما أن المسرح فن مكلل بالجمال والخلود، وبما أنه ضروري للحياة بما هو محاكمة للحاضر والواقع، وكما قال عبد الله العروي: "يؤثر المسرح تأثيرا جماعيا قويا، سواء أكان يهدف إلى إحياء الماضي أو استطلاع المستقبل، لأنه يحاكم باستمرار الحاضر متسائلا عن حقيقته أو أحقيته"[34].

التوصيات والمقترحات

ومما توصي به هذه الدراسة:

– وجوب عدم إهمال هذا الفن الجميل، لكي لا نبقى نعرف في المغرب وفي مختلف البلدان العربية، شيئا واحدا، هو أن المسرح أبو الفنون نعيدها ونكرِّرها الكثير...

– ضرورة الاعتناء بهذا الفن المتمثل عبر إعطاء المبدع المسرحي سواء كان ممثلا، أو مخرجا، أو كاتبا، هامشا كبيرا من الحرية.

[34]- عبد الله العروي: "الإيديولوجية العربية المعاصرة"، ترجمة: محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت- لبنان، 1970، د. ط، ص 235.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589 ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

– أهمية أن تكون هناك حركة ترجمة متصاعدة للتعرف أكثر عن الخطاب المسرحي العالمي، وحبذا أن تُنجز هذه الترجمة بشكل جماعي، وأن يكون المترجمون أشخاصا متخصصين في العمل المسرحي ويحبونه.

– ضرورة بناء معاهد ومسارح وتنظيم ندوات ومهرجانات ومناظرات وتداريب مسرحية وجولات تطوف الوطن، وتناقش العمل المسرحي وتثقف الجمهور وتنشر مفاهيمه في كل مكان... ينبغي على الجميع مسْرحَة الشوارع والمدارس والجامعات؛ إذ إن المسرح ثقافة قبل كل شيء، وإذا بدأنا نؤسس شيئا فشيئا هذه المستلزمات المادية والمعنوية، أكيد أننا سنخطو ومسرحنا خطوات إلى الأمام.

قائمة المراجع

[1]– حسن المنيعي: "حركية الفرجة في المسرح (الواقع والتطلعات)"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2014.

2– حسن المنيعي: "المسرح المغربي (من التأسيس إلى صناعة الفرجة)"، منشورات كلية الآداب، فاس، ط 1، 1451هـ– 1994م.

[3]– حسن المنيعي: "ويبقى الإبداع– دراسات عن المسرح والأدب في المغرب"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2008.

[4]– حسن المنيعي: مقاربات مسرحية (قراءة في المسرح الغربي الجديد... ومسرح الهجرة"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2019.

5– حسن المنيعي: "هنا المسرح العربي... هنا بعض تجلياته"، منشورات السفير، مكناس، 1990.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ISSN: 2958-8537 Issue: N21 العدد الواحد والعشرون: ص.ص565-589
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

6- حسن المنيعي: "النقد المسرحي العربي (إطلالة على بدايته وتطوره)، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، أبريل 2011.

7- مجموعة من المؤلفين: "حسن المنيعي ومسارات النقد المغربي والعربي"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، مارس 2011.

8- محمد الكغاط: "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، 1986.

9- محمد الكغاط: "الممثل وآلته"، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، ط 1، 2002.

10- عباس الجراري: "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه"، الجزء 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 3، 1986.

11- مجموعة من الباحثين: "مسرح ما بعد الدراما"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، مارس 2012.

12- عبد الله العروي: "الإيديولوجية العربية المعاصرة"، ترجمة: محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت- لبنان، 1970م. د. ط.

13- حسن بحراوي: "المسرح المغربي بحث في الأصول السوسيوثقافية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1994.

14- يونس لوليدي: "المسرح والأسطورة"، المركز الدولي لدراسة الفرجة، طنجة، ط 1، 2014.

15- فهد الكغاط: "تدوين الفرجة المسرحية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، د. ط، د. ت.

16- غاستون باشلار: "تكوين العقل العلمي – مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية"، تعريب: د. خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 6،1421هـ – 2001م.